أبو حامد الغزالي

في الذكرى المئوية التاسعة لوفاته

أشغال الندوة الدولية "الغزالي اليوم، لماذا؟"
"بيت الحكمة"، 17 - 21 ماي 2011

الجزء الأول

راجعه وأعدّه للنشر
مقداد عرفة منسية
(الجامعة التونسية)

المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون
"بيت الحكمة"

أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لوفاته (ج1) / عمل جماعي –
تونس : المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة" 2012
(تونس : مطبعة المغرب للنشر) 416 ص، 24 سم – مسفّر.
ر.د.م.ك. : 978-9973-49-139-8

خط الغلاف: عمر الجمني

سحب من هذا الكتاب 700 نسخة في طبعته الأولى

© جميع الحقوق محفوظة للمجمع التونسي
للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"

قرطاج، 2012

تقديم

إن الاحتفال بالذكرى المئوية التاسعة لوفاة الإمام أبي حامد الغزالي من قبل المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» في هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ العربي الإسلامي، وصدور أشغال فعاليات هذا الاحتفال في كتاب ممحور بإمضاءات مجموعة من كبار الباحثين الأكاديميين العرب، في وقت قطعت فيه ثورة الربيع العربي نصف طريق مداها المنشود، يمثلان واجبا علميا وأخلاقيا لأكاديمية تسعى إلى تحديث مناهجها، وتطوير آليات عملها، وتوسيع مساحات إشعاعها، وتنويع وظائفها المعرفيّة، واستِجَابةً عملية لمتطلبات مرحلة مفصلية من مسيرة الأمّة. فالغزالي يمثل بعلمه وفكره وفلسفته ومقارباته الدينية، نموذجا للمفكر المدرك لدوره التنويري في المجتمع. ومهما اختلفت الآراء في شأنه، من مؤيّد له ومعارض، مؤمن بحججه ومشكك فيها، فإن إثارته لكل ذاك الكم الهائل من الجدال المتراكم على امتداد عدّة قرون يعتبر إضافة هامة للفكر الإسلامي، وإثراءً نوعيا لحضارة الأمّة، لا بدّ من معالجته بعمق موضوعي وتدقيق نزيه.

من هذا المنظور المعرفي الشامل تصبح العودة المتجدّدة، لإرث ابي حامد الغزالي ضرورة علمية، إذ المسعى، في جوهره، لا يتوقف عند إحياء ذكرى عالم من علماء الإسلام، وإنما يتجاوزه إلى معاينة فكره بمجاهر العصر الحديث لتأكيد أبعاده الإنسانية التي لا تعبأ بطوارئ الزمن، ولا تقنع بما كان ولا بما هو كائن.

لا شك أن عصر الغزالي اتسم بوصول الفكر إلى ذروة ارتقائه، وبلوغ الحوار بين الأنساق العلمية والمعرفية السائدة أعلى درجات خصوبته، بما يعني، ضَرُورَةً، ان انتاجاته هي من ثمار ذاك المدّ الحضاري الهائل، وهو ما يحتم، منهجيا، تنزيلها في هذا السياق وخصوصياته. ولكن هل يعيق هذا الإقرار إسقاطها على راهن الوضع العربي والإسلامي الموبوء بداء التفرقة والتشرذم والاحتقان وانهيار الفكر وانحسار الحوار الحرّ؟

هذا هو حتما جوهر المسألة المطروحة في الندوة والكتاب الذي انبثق عنها، وتضعه «بيت الحكمة» بين أيدي قرّائها من الأكاديميين والباحثين المختصين وطلاب المعرفة من العموم.

إنّ إنسانية فكر أبي حامد الغزالي، بعمق أبعاده، وتنوع روافده، تضع دَارِسَهُ أمام حتميّة التكيّف مع مضامينه ومقارباته، في إطار ما توفره المناهج العلمية الحديثة من إمكانيات مفتوحة على كل القراءات الممكنة.

فنحن اليوم بحاجة أكيدة وماسّة إلى إعادة إحياء أهمّ مرجعيات الفكر العربي الإسلامي ومعالجتها بأدوات العصر، دون التجنّي على خصوصياتها الزمانية والمكانية، وإنما بغرض استنفار مكنوناتها المعرفية، وتوظيفها في بلورة منظومة فكريّة وعلمية عربية إسلامية، مشدودة إلى إرثها الحضاري المتجذّر، ومندرجة في رحاب الإضافات الحديثة المتراكمة. وإن الفرصة لغدت سانحة لتجسيد هذه الرغبة الطموحة، في ظل ما تشهده الأمّة من تحرّك تحرّري محمّل بالبشائر.

إن الحريّة هي الفضاء الطبيعي للإبداع، وهي النّسغ المغذّي للفكر والعلم، إذ بدونها تتكلّس العقول، وتجفّ المنابع، وتُقبر

المواهب، وتطفو على الساحة مظاهر الجمود والانكماش والإرتداد.
وإن من أهم وظائف «بيت الحكمة»، بعد ثورة الرابع عشر من جانفي 2011، المساهمة، أكاديميا، في فك أسر الفكر، وتأمين المصالحة مع تراثنا الحضاري النيّر.

المجمع التونسي

«بيت الحكمة»

كلمة الأستاذ مقداد عرفة منسية
باسم اللجنة العلميّة للملتقى

معالي وزير الثقافة الأستاذ عز الدين باش شاوش،

معالي وزير الشؤون الدينيّة الأستاذ العروسي الميزوري،

حضرات الزملاء الأعزّاء والضيوف الكرام،

يشرفني أن ألقي هذه الكلمة باسم اللجنة العلميّة لتنظيم ملتقى «الغزالي اليوم، لماذا؟» وهي تضمّ الأساتذة:

أبو يعرب المرزوقي ومقداد عرفة منسية وعبد الرحمن التليلي وعبد الجليل سالم.

وأقول باسمهم جميعا مرحبا بكم وشكرا لكم على وجودكم بيننا.

مرّ الآن أكثر من سنة على بداية التفكير في إعداد هذا اللقاء حول أبي حامد الغزالي. ويعود الفضل في ذلك إلى الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة رئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» آنذاك، وذلك اعتبارا إلى حلول هذه المناسبة الهامّة مع قلّة الاحتفاء بها في البلاد العربيّة والإسلاميّة. مرّت اليوم تسعة قرون على وفاة حجّة الإسلام أبي حامد الغزالي فما كان من المعقول أن تمرّ الفرصة دون أن ننتهزها لنذكّر به وبفكره ودوره في التاريخ وإمكانيّة الاستفادة منه اليوم. وفي الأثناء حدث ما حدث في تونس وفي غيرها من البلاد العربيّة من أمور خطيرة. لعلّها تجعل البعض يقضي بأنّ

الاهتمام بموضوعنا ثانويّ بالقياس إلى هموم أخري عاجلة ومصيريّة. ولكن سنرى كم أنّه من المهمّ العودة إلى الغزالي وفكره فيما يطرحه مجتمعنا الآن من مشكلات وما يعترضه منها وأنّ له في رسالة الغزالي مغازي جمّة. وقد رأى السيد وزير الثقافة مشكورا الإبقاء على هذا الملتقى والعمل على نجاحه رغم الظروف الخاصّة وأن تبقى المؤسّسة على نشاطها وعند عهدها.

لا أظنّ أنّ الوجاهة في تنظيم هذا اللقاء في هذه المناسبة تحتاج إلى إقناع: فالغزالي يستحقّ ذلك وأكثر من ذلك نظرا إلى شخصيّته الفذّة وفكره العميق متعدّد الأبعاد الذي طبع عن جدارة العالم الإسلامي وكان فاعلا في توجّهاته التاريخيّة. لم يلقّب بحجّة الإسلام عبثا، فما كان من الممكن للثقافة العربيّة الإسلامية بمنقولها ومعقولها في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أن تبقى بعد الغزالي على ما كانت عليه قبله وذلك سواء من حيث الروح أو المنهج أو المضمون. وهو أمر لم يعد من سبيل إلى الشكّ فيه. وما من شكّ في أنّ المحاضرات التي سيتفضّل الأساتذة المشاركون بإلقائها كلّ من موقع اختصاصه ستسهم في إنارة جانب أو بعض جانب من هذه الشخصيّة الفذّة: في حياتها وفكرها ومكانتها.

وقد توزّعت هذه البحوث بالقياس إلى فكر الغزالي ومنزلته على ثلاثة محاور:

قبليّة تدرس العلاقات المعقّدة التي كانت بين الغزالي ومن أتى قبله من أعلام التصوّف أو الفقه أو أصول الدين أو أصول الفقه أو الفلسفة.

ومعيّة نكون بها في رفقة أبي حامد في جوانب متعدّدة من تفكيره، في المنهج أو نظريّة المعرفة أو الأخلاق والسياسة أو الأصول والمقاصد والدين والعقيدة والذوق والتصوّف.

وبعديّة تنير التاريخ اللاحق وتنشد المغزى وتستثمره بالقياس إلى حاضرنا.

أتوجّه باسم اللجنة العلميّة بالشكر الجزيل إلى كلّ من عمل على تنظيم هـذا الملتقى وإنجاحه وأخصّ بالذكـر السادة: الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة، ووزير الثقافة الأستاذ عز الدين باش شاوش ووزير الشؤون الدينيّة الأستاذ العروسي الميزوري على دعمهم الماديّ والمعنويّ، كما أتوجّه بعبارات الشكر إلى الأساتذة المحاضرين على بذل الجهد المادّيّ والمعرفيّ، كما ينبغي التنويه بالجهد الكبير الذي بذله فريق «بيت الحكمة» الذي تفانى كعادته في حسن تنظيم هذا الاحتفاء العلميّ التاريخيّ وإنجاحه.

فشكرا مجدّدا ومرحبا بكم في بيتكم، «بيت الحكمة».